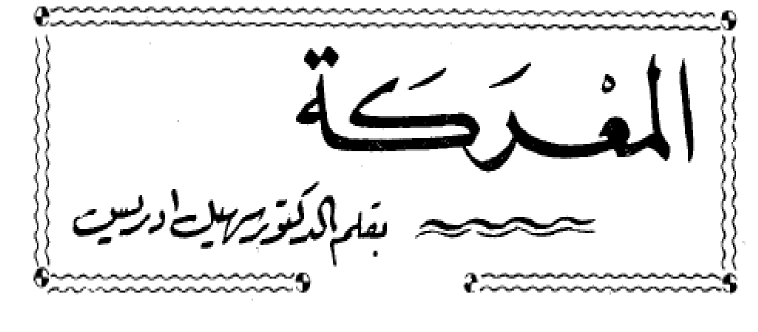
الدكتور
سهيل إدريس

مواقف قومية عربية



منشورات
الطليعة العربية في تونس
2020



اليوم تبدأ معركتنا ، معركة القومية العربية ، لأننا اليوم فقط حملنا لها السلاح ، وكنا من قبل نخوض ميدانها شبه عزّل.

ولسنا نعني بالسلاح الطائرة والدبابة والبندقية والمسدس والخنجر ، وانما نعني تلك الطاقة الروحية الهادرة التي تواجه بالتحدي الطائرة والدبابة والبندقية والمسدس والخنجر .

لقد كنا ندرك من قبل ان الاستعمار يريد بنا الشر والهوان، ولكن الغزو المثلث اثبت لنا ان هذا الاستعمار انما هو يريد القضاء علينا في ارضنا بخنق كل إحساس بشعورنا القومي ، يريد كبت هذا المارد العظيم الذي يتطاول كل يوم قوة جديدة تهدده في مصيره ووجوده .

ونهضت فينا غريزة الدفاع عن النفس والكيان ، فألقينا خلفنا كل ما اورثنا اياه الاستعمار ، خلال قرون طويلة ، من الخوف والحذر والتردد والاحساس بالنقص ، لنخوض المعركة وفي صدورنا الايمان بأن هذا هو حظنا الأخير من الحياة ، وأنه لا مناص من ان نطلب الموت لتوهب لنا الحياة .

وكانت كل بقعة من ارضنا العربية بور سعيد . وستظل ، منذ الآن ، ملطخة بالدماء ، حتى يجلو عنها كل أثر للاستعمار.

وسواء أبقي الغزاة في ارضنا العربية بمصر ام ذهبوا ، فاننا ابداً قائمون في وسط الميدان ، في المعركة . إن أمامنا بعد جهاداً طويلا ، مريراً ، لنحقق غاية قوميتنا ، لنحقق وحدتنا العربية .

ولكن المعركة قد بدأت ، ولابد من ان ننجزها ، ليحافظ بدؤها على معناه العميق ، لتكون المعركة معركة في اوسع حدودها وامتدادها .

وفيما نحن في الميدان ، سنفكر ملياً باساليب هذا الاستعمار ، تلك الاساليب التي انكشفت في مطلق عريها ، ففجرت فينا كل طاقات الحقد والثورة والنضال ، فاذا معركتنا ، فيما هي معركة قوميتنا العربية ، معركة انسانية عظمى ، نخوضها لنرد للقيم اعتبارها ، ولننقذ المثل البشرية من ان تدنسها حفنة من ذوي الضمائر المزيفة المدخولة . ان معركتنا العربية هي معركة الانسان الجديد الذي يستيقظ على انقاض حضارات شاخت وتحللت ، ليبني حضارة فتية صريحة المبادئ ، صادقة الأسس .

لقد كشف لنا الغزو المثلث عن كوامن القوة في نفوسنا ، فاذا نحن الأول مرة في تاريخنا الحديث نتّحد ونتضامن ، ونثبت للاستعمار أنه أعجز من ان يفرّق بيننا بالدس والوقيعة . ولئن أضمر بعضنا ، او أظهر ، الحذر والتردد ولم يؤمن بان الأمر يقتضيه قذف كل طاقاته في معركة هي معركة الحياة والموت ، فلا بد أن يكتشف عما قليل خطأ موقفه . على ان هذا البعض هو من ضآلة الشأن بحيث يعجز كل العجز عن تغيير مجرى التيار ، بله وقفه . إن حجراً صغيراً هو اضعف من ان يقاوم امواج نهر متدفق ، ولا شك في ان هذه الامواج ستستطيع سريعاً اقتلاع هذا الحجر من ارضه ، وستتمكن من دحرجته كرهاً وقسراً ، ان لم يساوق التيار طوعاً ورضى .

ولقد سبق ان قلنا (١) : « لقد بعث جمال عبد الناصر في ضمائر الشعب العربي ، في شتى الاقطار ، الايمان الذي كان في سبات ، والعمل على جعل هذا الايمان قوة كاسحة يضحي من أجلها بكل شيء . ولم يعرف التاريخ العربي الحديث ، منذ اكثر من قرن ، حماسة واخلاصاً واستعداداً للبذل والعطاء كهذا الذي يسجله الآن بين صفوف الامة العربية . ونحن نعتقد ان طريق الانتصار قد شقت ، وان سلوكها امر محتوم مهما كانت النتائج التي سيؤول اليها تأميم قناة السويس ، وأياً كان الحل الذي سيترتب عليه . لقد وجّه التيار وجهته الصالحة التي سيبلغ فيها غاية تدفقه ، ويعطي منتهى فعاليته ، ولابد ان يحطم العقبات التي تعترض سبيله . لقد تم الانبعاث العربي . »

ولقد كانت معركة مصر الباسلة امتحاناً لهذا الانبعاث ؛ ولقد توج هذا الانبعاث بانتصار القومية العربية ، ولكنه انتصار مهدد كل لحظة إن لم نرعه بمواصلة النضال ، ومتابعة المعركة . ولن يكفينا تأييد معظم الأمم لنا ، لأن الانبعاث الذي لا يتم من الداخل ، معرّض كل ساعة لتقلبات الخارج وظروف المصالح الخاصة .

وكم هو عظيم خطير دور ادبنا في معركة البقاء هذه! اننا نتنبأ بأن هذه المعركة العظيمة ستحتل مدى كبيراً من انتاجنا الأدبي الحديث ، فسوف يجد اديبنا العربي نفسه جندياً

الانبعاث

بقلم : الدكتور سهيل ادريس

منذ كارثة فلسطين ، ظل الشعور القومي العربي طاقة سلبية مخنوقة ، محرومة من التعبير عن نفسها .
وهذا العجز الظاهري ، طرح قضية القومية العربية برمتها على بساط البحث وجعل الكثيرين يتشككون في جدوى الشعور القومي وفعاليته أصلا .

وحتى الذين كانوا يؤمنون بالقومية العربية ايماناً قوياً ثابتاً ، أخذوا يستشعرون من هذا العجز ضيقاً شديداً في صدورهم ، وقلقاً متزايداً على هذه الطاقة التي تضطرم في كيانهم ولا تجد لها متنفساً تعبر فيه عن امكانياتها . ذلك انهم كانوا يؤمنون بان خلاص العرب الوحيد من مأساة وجودهم التي يتخبطون فيها ، انما يكمن في وحدة الاحساس القومي بالواقع ومن ثم بالمصير . وقد كان الواقع لا يوحي الا بشعور الفرقة والتمزق ، في ضمير الجماعة وضمير الفرد ، ومن هنا منشأ ذلك القلق على المصير ، ان يكون امتداداً وانتهاء لذلك الشعور ، اي افلاساً للوحدة المرجوة .

ولم تكن الأحداث التي توالت على الوطن العربي ، منذ كارثة فلسطين ، الا لتعمق هذا الاحساس . وحتى قيامُ عهد الثورة في مصر ، لم يزرع الثقة في الضمير العربي الذي كان قد عاني طويلا من الاستبداد ، والذي كان يخشى ان ينتشر فوق أرض مصر شبح الديكتاتورية العسكرية ، هذا الشبح الذي كان ينتصب عقب كل ثورة وكل انقلاب في بعض اجزاء الوطن .
ولكن ما يحدث اليوم في مصر على يد الرئيس جمال عبد الناصر كاف لأن يبعد ذلك القلق ، ويمحو هذا الشك ، ويرد للضمير العربي الثقة التي زعزعتها الاحداث ، الثقة بالقومية العربية وطاقتها العظيمة وقدرتها على توفير جميع اسباب الانبعاث العربي المنتظر .

لقد كان تأميم قناة السويس محكاً لفعالية الشعور القومي في هذه المعركة ، لا يقل شأناً عن المناضل في ميدان السلاح ، لأن آثاره لن تكون ذات قيمة ، في هذه المرحلة من تاريخنا ، إلا اذا أسهمت في دفع النضال حتى يبلغ النصر المحقق .
واديب العروبة اليوم هو خير من يستطيع ان يبرز من الكفاح أعمق معانيه ، ويثير في النفوس القلقة اصدق احاسيس الايمان بشرف المقاومة ، ويلهب الارواح اليقظة ، العطشى الى التعبير عن أشواقها للحرية .

إن الاديب العربي لن يستطيع اليوم إلا ان يغمس ريشته في دماء اولئك الشهداء الابطال الذين يتساقطون في كل مكان من ارض العروبة ، حتى اذا رفع هذه الريشة ، كانت تقطر بمعاني الثورة على الاستعمار ، والتمرد على الظلم ، والعمل على سحق الباطل .

والحق ان اديبنا العربي سيشعر اليوم شعوراً عميقاً بشرف رسالته ، هذه الرسالة التي تحمله الى الصف الاول من صفوف المناضلين في سبيل القومية العربية التي يسعى الاستعمار الى خنقها . ولقد بدأ هذا الاديب العربي يرتفع صوتاً مدوياً ، مناشداً جميع زملائه ، ادباء العالم الأحرار ، ان يضطلعوا بمسؤوليتهم في الدفاع عن القيم الحقة والمثل العليا التي يعيشون من اجل تحقيقها .

ولا بد ان يسجل تاريخنا الأدبي ان انتاج هذه المرحلة من وجودنا ، كان ادب ثورة ومقاومة ، وان هذا الأدب شارك اعظم المشاركة في تحرير الامة العربية من قيود الظلم والاستعمار .
إن الاديب العربي ، اذ يحشد اليوم كل قواه ليخوض المعركة العظيمة ، الى جانب الجندي الباسل في الميدان ، والمعلم المناضل في المدرسة ، والعامل الكادح في المصنع ، انما يتمم مهمته ويقوم برسالته خير قيام .
فطوبى لهذه المعركة المقدسة التي أتاحت للأديب العربي ان يجد نفسه .

الدكتور سهيل ادريس

كانون الاول (ديسمبر) ١٩٥٦

في صدور ابناء الأمة العربية . لقد تجلى هذا الشعور في اروع مظهر ، وأقام الدليل القاطع على ان العرب انما ينشدون الوحدة الكبرى ، لأنهم يستجيبون أعمق الاستجابة لكل هم من الهموم التي تشغل اي جزء من اجزاء وطنهم الكبير . ولقد اتاح لهم التأميم ان يطلقوا للعمل طاقتهم الحبيسة ، وان يستعيدوا حس العزة القومية الذي كادت تقتله الهزائم في مختلف الميادين .

ان خطوة الرئيس العربي في مصر انقذت كبرياء الوجدان العربي من ان تقضي عليها سياسة المحترفين وروتين المتنفذين. وليس أصدق ، في مجال الحاجة العربية الراهنة ، من انه ، كما قال ، رجل ثورة ، لا رجل احتراف سياسي . ذلك ان هذه الصفة مكنت له من ان ينهج سياسة مستقلة حرة لا تحفل إلا صالح مصر العربية ، ولا تخشى ثورة الدول الغربية .

ثم اننا ، نحن القوميين العرب ، الذين ظللنا متحفظين متريثين تجاه سياسة الرئيس عبد الناصر العربية ، نتخلى الآن عن تحفظنا وتريثنا كله ، لنبارك هذه السياسة التي تعمل على نصرة القومية العربية ومؤازرتها والمضي بها الى تحقيق الرسالة التي أخذتها على عاتقها من بعث الأمة العربية وتوحيدها. ولسنا في ذلك الا كأي فرد من افراد هذا الشعب العربي – الذي يعلق أمله كله على انتصار سياسة هذا الرجل العظيم – فيما هو يعد نفسه للعمل على ان يكون في مستوى القدر الذي رسمه لنفسه .

لقد بعث جمال عبد الناصر في ضمائر الشعب العربي ، في شتى الاقطار ، الايمان الذي كان في سبات . والعمل على جعل هذا الايمان قوة كاسحة يضحى من اجلها بكل شيء . ولم يعرف التاريخ العربي الحديث ، منذ اكثر من قرن ، حماسة واخلاصاً واستعداداً للبذل والعطاء ، كهذا الذي يسجله الآن بين صفوف الامة العربية . ونحن نعتقد ان طريق الانتصار قد شقت ، وان سلوكها امر محتوم ، مهما كانت النتائج التي سيؤول اليها تأميم قناة السويس ، واياً كان الحل الذي سيترتب عليه . لقد وُجِّه التيار وجهته الصالحة التي سيبلغ فيها غاية تدفقه ، ويعطي منتهى فعاليته ، ولابد ان يحطم العقبات التي تعترض سبيله .
لقد تم الانبعاث العربي .

اجل ، لقد تم الانبعاث ، ولكن لابد من ان يستكمل لنفسه اسباب النهضة في مختلف مرافق حياتنا الراهنة .

ولاشك في ان للادب دوراً هاماً يلعبه في هذا الميدان . واننا لنخدع انفسنا اذا ذهبنا الى القول بان الادب قد اضطلع حتى الآن بمسؤوليته الكاملة في تحقيق هذا الانبعاث . فالواقع انه لم يشارك الا مشاركة ضئيلة في التمهيد لهذه اليقظة ، بل يبدو جلياً ان الاحداث كانت غالباً ما تفاجئه وتتجاوزه ، كأنه لم يؤثر فيها حتى يتأثر بها . اننا ابعد ما نكون عن الاعتقاد بان على الادب ان يخلق ثورات سياسية او اجتماعية ، ولكننا نؤمن بانه، لانعكاس الاحداث عليه وتأثره بها ، يملك بطبيعته ان يرد لها هذا التأثر تأثيراً في حدود طاقة الخلق الفني ، فيكون بذلك عاملا من عوامل التمهيد والتطور والتغير .

ونحن على يقين انه اذا فات ادبنا المعاصر ان يلعب الدور الذي كان يرجى منه في المشاركة بالتمهيد لهذا الانبعاث ، فانه لا يملك الآن الا ان ينخرط في هذه المعركة القائمة التي تتناول جميع نواحي الحياة ، اي ينابيع المادة التي يستلهمها الادب ، فيواكب هذه الحركة الانبعاثية ، ويغذيها فيما هو يتغذى بها ، وبذلك يحقق لنفسه ، في تيار الانبعاث الكبير ، انبعاثه الخاص .

وهذه هي الغاية التي لابد ان يعمل من أجلها ادباؤنا الواعون .

الدكتور سهيل ادريس

ايلول (سبتمبر) ١٩٥٦

ثورتا تمّوز ...

لم تعش ثورة ١٤ تموز على وجهها الحقيقي الرائع الا بضعة اسابيع ، ثم قتلها الشيوعيون اذ حرفوها وزيفوا حقيقتها وصرفوها الى غير الاتجاه الذي رصده لها ضمير الشعب العربي في العراق وفي الوطن العربي كله .

واذا نحن احتفلنا اليوم بذكرى ١٤ تموز ، فانما نذكر الثورة الطفل التي ولدت في مصهر الالم العربي النبيل في كل جزء من اجزاء الوطن الكبير – تلك الثورة التي كانت جنينا في صدر كل انسان عربي مهما ابتعدت به المسافة عن بغداد ، لان كل انسان عربي كان يعيشها في ضميره ويغذيها ويترقب يوم ولادتها ، فلما خرجت هذه الثورة الى النور ، فرح بها سبعون مليونا ، لانهم جميعا قد اجنوها في صدورهم واصابوا في مخاضها اشرف

العذاب وانبله . وهم اليوم ، بعد مرور عام ، لا يؤمنون بان ثورتهم هذه قد ماتت ، بل مات المسخ المشوه الهجين الذي استبد له بها مزيفو الحقيقة الانتهازيون . وليس في اذهاننا اليوم ، ولن يكون في اذهاننا الى الابد ، الا صورة تلك الانتفاضة النضرة الرائعة التي هي حلقة متينة من سلسلة الانتفاضات العربية الكبرى في تاريخ خلقنا الجديد .

ولم يطل بالشعب العربي الانتظار ، ليدرك ان الذي كان بيده الحديد والنار ، وراح يرهب بهما العناصر القومية المخلصة ليمحو على الشفاه شعارات العروبة والوحدة ، ويلوّح بديلا عنها بشعارات زائفة تحتمل كل تاويل ، وتناقض اشد التناقض ما يفرض في شعارات كل ثورة من وضوح واخلاص وصدق . ثم اتاح للانتهازية الشيوعية ان تمارس ارهابها بالضغط والتنكيل والجر بالحبال ، وظل يلعب لعبته الصامتة الغامضة التي قد تدل على كل شيء ، الا على انه ثوري مؤمن مخلص شريف .

سوف تحتفل العروبة بعد ايام بذكرى ثورة ٢٣ تموز . فهل يسع العربي ، وهو بين هاتين الذكريين ، الا ان يقارن خط سير كل من الثورتين في مضمار القومية العربية ؟ ان مصر تستدرك تخلفها الذي فرضه عهد الاستعمار والعزلة لتنطلق في ميدان العروبة انطلاقة فتية خافقة تبوئها في وقت يسير زعامة لامة العربية وتجعل منها رمزا للوحدة المنتظرة الكبرى اذ تتحقق على يدها نواة هذه الوحدة في شكل الجمهورية العربية المتحدة ، بينما نرى العراق ، العراق الرسمي الحكومي ، يهدم مرة واحدة كل ما بناه شعب العراق العظيم في صرح القومية العربية ، ويتحول عن المجرى العربي الدافق ، فيخون تاريخ العراق كله ، ذلك التاريخ الذي كانت ابعد غاياته واحلى امانيه ان يحقق وحدة الوطن العربي . وهكذا ينطلق في مضمار العروبة بلد كان في تخلف كبير ، ويتخلف في هذا المضمار نفسه بلد كان في اروع الانطلاق . فهذه هي نكسة الثورة على يد قاسم العراق ، وتلك هي زهوة الثورة على يد ناصر العرب !

ان بحسب كل عربي ليحكم على انحراف ثورة ١٤ تموز ان يذكر كيف تطور موقف الاستعمار والصهيونية منها في مدى اسابيع قليلة ، فلقد تلقاها الاميركيون بالرعب فسارعوا الى انزال قواتهم في لبنان ، وذعرت بريطانيا اشد الذعر فنزلت جيوشها الاردن ، وتحفزت اسرائيل فحشدت قواتها على الحدود .. ومضت اسابيع فانسحبت الجيوش الاميركية والانكليزية وقد تبدل ذعرها امنا واطمئنانا ، وراحت اسرائيل وما تزال حتى اليوم تكيل المدح والثناء للجمهورية العراقية ولقاسم ... افلا يدل ابسط المنطق في هذه الاحداث المتقلبة على ان سياسة الحكومة العراقية تساير الاستعمار وتمالىء الصهيونية ، وان كانت تظهر في ذلك غير ما تخفي؟

وطوال هذا العام الذي انقضى على الثورة ، هل توضحت خطوط السياسة القاسمية ، الا ان يكون الوضوح في معاداتها للعروبة والقومية العربية واضطهاد العروبيين والقوميين العرب ؟ وذلك الخلاف المصطنع بينها وبين الشيوعيين الذي ابتدا بزعم اقصائهم وانتهى بتوليهم عدة وزارات ، اليس دليلا ناصعا على سياسة التدليس والتدجيل والتزييف ؟

ولقد استطاع قاسم ، ومن ورائه الشيوعيون المرشحون ابدا للخيانة ، ان يضللوا قسما كبيرا من الشعب العربي في العراق ، وان يخضعوا القسم الباقي للارهاب ، فتعطلت الطاقة الشعبية الواعية وشلت امكاناتها الثورية . ولكن الى متى يستمر التضليل والارهاب ؟ لقد قامت ثورة ١٤ تموز في الاصل لهدم التضليل الذي كان نوري السعيد وطغمته يفرقون فيه الشعب العربي في العراق ، ولنفض الارهاب الذي كانوا يسلطونه على عناصر الوعي والايمان بالمصير العربي الواحد . ولكن قاسم استغل هذه الثورة ليزيح نوري السعيد ويمارس على الشعب شبيه اساليبه التضليلية الارهابية ، يعاونه في ذلك الانتهازيون الطامحون ابدا الى الحكم ، فاذا بالثورة العظيمة التي انبثقت من ضمائر الملايين في الشعب العربي تجهض ، وتغتالها اليد التي اخرجتها الى النور .

ولكن الضمير العربي الذي استيقظ ماردا جبارا لن يدع الايدي الاثيمة القذرة تلغ في دماء ابنائه طويلا ، فان هذا الضمير هو الذي يخط القدر العربي الجديد ، ولا مرد لهذا القدر

الدكتور سهيل ادريس

Août 1959

في قضايانا القومية

عبر الرئيس جمال عبد الناصر ، في الخطب التي القاها في الشهر الماضي بمناسبة اعياد الثورة ، عن اصدق اماني الشعب العربي ، حين انذر اسرائيل بالزوال. وكانت هذه هي المرة الاولى التي يشعر فيها الشعب العربي بان الكلمة تحمل كل تجسيدها من الفعل ، وان اسرائيل دولة زائلة ، مهما امتد بها الاجل ، لانها قامت على الظلم والاضطهاد اللذين يجند العرب اليوم كل طاقاتهم لرفعهما عن كاهله في مختلف اجزاء الوطن العربي.

لقد شك الشعب العربي بقوة جيوشه السبعة حين دخلت فلسطين لطرد اليهود ، لانهم كانوا يشكون باخلاص القيادات التي كانت توجه هذه الجيوش . ولكنهم لا يشكون اليوم

بكلمة الرئيس عبد الناصر الذي قامت ثورته في الاساس كرجع لتلك الخيانة في القيادة . وكان الهدف البعيد الذي يكمن وراء كل تعزيز للجمهورية المصرية اولا ، وللجمهورية العربية المتحدة الان ، حشد القوى المختلفة للارتفاع الى مستوى معركة الحياة والموت مع الدولة الغاصبة التي يؤيدها الاستعمار أعظم تأييد من اجل القضاء على القومية العربية. ولم يكن الاعتداء الثلاثي على قناة السويس الا حلقة من حلقات الارهاب الذي يمارسه الاستعمار من اجل تحقيق غايته تلك .

على أن ذلك كله لم يزد الشعب العربي وقائده المخلص الا ايمانا بحقه في استعادة الارض السليب وازالة الظلم الذي فرض على العرب . ويوم نهض قائد الحرب الاسرائيلي يتبجح ويهدد ، حمّل الرئيس عبد الناصر رده عليه كل ما يكمن في صدور الملايين السبعين من تحفز وثورة واستعداد للتضحية والفداء من اجل ازالة هذه اللطخة التي تلوث الارض العربية وتمكن الاستعمار من تمزيق العرب وتفريقهم .

وصدور تصريحات رئيس الجمهورية العربية المتحدة مع نشر مشروع همرشولد للاسكان ذو مغزى خاص: فاننا لا نطالب بعودة العرب الى فلسطين فحسب ، بل بعودة فلسطين الى العرب ايضا . ان ذلك المشروع يحسب ان حل القضية يمكن أن يتم عن طريق المادة ، بينما القضية في نظر العرب عامة ، وعرب فلسطين خاصة ، هي قضية روح وكرامة . وحس الكرامة هذا هو الذي ما فتىء يقي الامة العربية غوائل الزمن ويحفظ عليها حياتها عبر القرون ، ويقاوم كل الاخطار التي تتعرض لها ، فتنتصر عليها في اخر المطاف ، مهما تألبت عليها المصائب .

جزائرنا المناضلة

لم يعرف تاريخ الاستعمار وجها ابشع من الوجه الذي يتلبسه الاستعمار الفرنسي في الجزائر اليوم . فان المستعمرين يفيدون على العموم من اخطائهم وينتهزون الفرص المناسبة لتعديل خططهم او التراجع عنها كليا ، اما الاستعمار الفرنسي فما انفك يراكم الاخطاء فوق بعضها ويمعن في الضلال حتى جعل من فرنسا دولة من دول الصف الثالث او الرابع، وقادها الى ازمات يأخذ بعضها برقاب بعض ، ويغرقها في دوامة ستؤدي الى هلاكها بلا ريب . وعنجهية الاستعمار الفرنسي اصبحت اليوم أضحوكة في العالم كله ، كما اضحى ديغول نفسه سخرية الناس والفرنسيين بالذات ، اذ أثبت منذ توليه الحكم حتى الان انه اعجز من أن ينقذ فرنسا من الهاوية التي تترصدها ، بل هو يدفعها الى التردي سريعا في هذه الهاوية ..

واذا حاول احدنا ان يجد تعليلا لهذا الامعان في الضلال، فلن يعجزه ذلك : ان فرنسا تعتمد على قنبلتها الذرية من جهة ، وعلى بترول الصحراء الجزائرية من جهة اخرى . فهي تعتقد انها ستعود الى الصف الاول من الدول الكبرى يوم تنتج قنبلتها الذرية ، وتتناسى ان ما بلغته الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي قد تجاوزتا في تجاربهما النووية مرحلة القنبلة الذرية بمسافات شاسعة ، كما تتجاهل ان احتيازها للقنبلة الذرية لن يضع حدا للثورة الجزائرية ، ولن يزيد في ارهاب الشعب العربي في الجزائر.

واما بترول الصحراء الجزائرية ، فلن يكون ملكا لها ، الا يوم تصبح الجزائر جزءا من فرنسا !

ولعل الحملة الفرنسية الجديدة في جبال القبائل ترمز خير رمز الى حماقة الاستعمار الفرنسي الذي يرمي ، على حد زعمه ، الى تحقيق انتصار عسكري حاسم يمكنه من فرض سيطرته على الجزائر، ومن ثم ضمها الى «المتروبول».

وتشير كل الدلائل الى فشل هذا الهجوم واخفاق هدف القيادة الفرنسية . واننا لنتساءل : حتى ولو نجح هذا الهجوم ، فهل هو كاف لخنق روح النضال والكفاح والمقاومة في صدور الجزائريين ؟ ان البطولة التي تتكشف عنها ارواح الجزائريين تنم عن استعداد بشري نادر لمقاومة طويلة الامد ، ولثبات يكاد التاريخ لا يعرف له مثيلا . وان اولئك الابطال الشهداء الذين يتساقطون بالعشرات ، ليدركون وهم يرون دماءهم تنزف ، انها ستروي ارضا تتعطش للبطولات الجديدة التي ستخلق الجزائر دولة عربية فتية ، تنضم الى سائر الدول العربية المتحررة التي تسعى لانشاء حضارة عربية جديدة يكون فيها انقاذ للبشرية جديد .

نحن والشيوعية

لم يبق ثمة شك في ان الشيوعية قد باءت في الوطن العربي كله بالاخفاق والخسران . وانصع دليل على ذلك انقلاب عدد كبير من القادة الشيوعيين على الحزب ومبادئه واتهامهم اياه بالخيانة للقضية الوطنية والسير في خط الاستعمار .

وليس من همنا هنا ان نعلل اسباب ذلك الاخفاق ، ولكننا نسجل ان احساس العربي بقداسة قضية القومية يبلغ الآن ذروته ، وانه يرفض كل الرفض ان يتبنى شعارات لا تنبع من صميم ذاته، وانما تنصب نفسها لخدمة دولة اجنبية قد تتعارض مصالحها مع المصلحة الوطنية والبيانات التي اصدرها عدد من الشيوعيين تدين الحزب بالتضليل وتزييف الشعارات وتشويه الحقائق ومحاربة فكرة الوحدة العربية التي زعم الشيوعيون في البدء انهم يؤيدونها ، ثم ظهر ان تأييدهم ليس الا تكتيكا موقتا ما لبثوا ان تخلوا عنه عندما سنحت لهم الفرصة . والحق ان العربي هو بطبعه شديد الحساسية تجاه هذه الاساليب الملتوية ، وسرعان ما يفقد ثقته حين يداخله الشك في موقف من المواقف . وقد كان هذا شأن الجماهير العربية بالاجمال تجاه الشيوعية ، وهاهم بعض قادة الحزب واعضائه البارزين يتثبتون من هذه الحقيقة ، فيؤثرون الاعتراف بانهم كانوا مضللين ، ويعودون عن غيهم محاولين ان يخدموا القضية العربية مع المخلصين من ابنائها .

محكمة المهداوي ..

اجمعت الاوساط القضائية والحقوقية على ان محكمة المهداوي هي اعجب محكمة في التاريخ ، وان الاساليب التي

تلجأ اليها في المحاكمات ، فيما يخص المتهمين والشهود ، تتناقض مع كل عرف في المحاكم المحترمة ، حتى ان الذين وصفوا هذه المحكمة بانها « سيرك » لم يجانبوا الخطأ ولم يتعدوا الصواب .

وقد صرحت لنا صحفية عراقية زارت لبنان اخيرا بان الشعب العراقي انما يصغي الى محاكمات المهداوي على سبيل التسلية وازجاء الفراغ ، من غير أن يكن لها اي احترام .. والجدير بالذكر ان هذه الصحفية تؤيد قاسم كل تأييد ، بل هي قد اوفدت الى لبنان لتبث الدعاية لرئيس الوزارة العراقية !

ولعل المهداوي نفسه ومن وراءه قد فطنوا الى صفة التسلية هذه التي تقترن بالمحكمة التي دعت نفسها محكمة الشعب ، فرأوا من الخير المضي في هذا السبيل ، لالهاء الشعب العراقي عن قضاياه الاساسية وصرفه عن العمل لصالح القضية العربية ..

على ان ما يؤذي في هذه «التسلية» ذلك التبجح المغرور الذي ينفضه المهداوي كل ساعة على المستمعين . فنحن حين نستمع اليه يردد في غير ملل قوله « اننا مثقفون » ويحاول ان يعرض الوان ثقافته بمناسبة وغير مناسبة — حين نستمع اليه يفعل ذلك نشعر — كما لم نشعر من قبل قط — بخجل من ثقافتنا ومن الثقافة اجمالا !

الدكتور سهيل ادريس

Sept. 1959

الجزائر والحرية

يتابع مثقفو العالم قاطبة تطورات الموقف الذي وقفه عدد من مفكري فرنسا وعلمائها وفنانيها حين اصدروا في الشهر الماضي بيانهم بالدفاع عن اعضاء منظمة « جانسون » التي تمد الوطنيين الجزائريين في فرنسا بمختلف الوان المعونات .

والرائع في هذا الموقف ان اصحابه وهم ممثلو الحرية الحقيقيون في هذه الـ « فرنسا » التي تسير منذ سنوات في طريق الفاشية والرجعية ، فلقد وجد هؤلاء المئة والعشرون ان كرامتهم الانسانية تقضي عليهم بمساندة الدعوة الى التمرد على متابعة تلك الحرب « القذرة » في الجزائر ، فاصدروا ذلك البيان ليقولوا « اننا نحترم ونبرر رفض حمل السلاح ضد الشعب الجزائري ، ونحترم ونبرر مسلك الفرنسيين الذين يجدون من واجبهم ان يحملوا العون والحماية للجزائريين المضطهدين باسم الشعب الفرنسي . »

ولا ريب في ان شهادة المفكر العظيم جان بول سارتر تعد ضربا من البطولة عودنا على مثله في اثناء المقاومة ، وفي كثير من كتبه . وان احدنا لا يتمالك نفسه من الارتعاش حين يستمع الى سارتر يقول في شهادته : « لو طلب مني جانسون ان احمل حقائب وان امنح المجاهدين الجزائريين المأوى ، وكان بوسعي ان افعل ذلك من غير ان اعرضهم للاخطار ، لما ترددت .. »

ذلك ان الجزائريين ليسوا بعد « اعداء » ، وانما اصبحوا اولئك الناس الذين يعذبون ويقتلون ويحشرون في المعسكرات ، بينما نساؤهم يربين في معسكرات اخرى اولادهن يموتون جوعا . انها هنا قضية « الانسان » تنتصب واضحة جلية ، الانسان الذي يناضل من اجل حريته ومستقبل اولاده ، فتتهاوى الحواجز والعصبيات ، ويصبح موضع الاحترام والتقدير ، ويفرض على الضمير البشري العون والتأييد .

ونحن المثقفين العرب نستطيع ان نقدر اكبر التقدير موقف هذه الحفنة من احرار فرنسا ، لاننا نعيش المأساة الجزائرية في ضمائرنا ودمائنا ، ولاننا نوشك ان نكفر بثورات فرنسا كلها لولا هذه الفئة التي لا تزال تحتفظ بحس الحرية الحقيقي ، هذه الحرية التي لا يمكن ان يكون لها مفهومان ، والتي ينبغي ان تعني شيئا واحدا حين يثور من اجلها الفرنسيون عام ١٧٨٩ ، وحين يثور من اجلها الجزائريون عام ١٩٥٦ ... الم يكن هذا ما قصد اليه صاحب « عارنا في الجزائر » حين قال في شهادته عن جبهة التحرير الجزائرية : انها هي القوة الوحيدة التي تكافح اليوم حقا ضد العدو المشترك للحريات الجزائرية والحريات الفرنسية ؟ »

ان هذا التضامن الذي يشير اليه سارتر اصبح اليوم تضامنا مصيريا بالنسبة لجميع الشعوب المناضلة ، وهو قبل ذلك تضامن وثيق بالنسبة لجميع المفكرين الاحرار في العالم . ونحن لا تأخذنا العزة القومية حين نقرأ سارتر يقول ايضا : « ان الفرنسيين الذين يساعدون جيش التحرير لا يضعون انفسهم في خدمة قضية اجنبية ، بل انهم يعملون من اجل انفسهم وحريتهم ومستقبلهم .. » وتلك هي الفكرة الرئيسية في فلسفة سارتر الالتزامية : ان الانسان حين يتخذ موقفا معينا ، فهو لا يلزم نفسه وحدها ، بل يلزم البشرية كلها معه .

ان هذا الموقف يكشف عن بطولة لا يحسها الا من يتبنى قضية الفكر الحر ويكرس نفسه وحياته من اجلها . وقد اصيب معظم هؤلاء المفكرين والفنانين في رزقهم ، فمنعوا من التدريس والعمل في مرافق الدولة ، وطلب الى الناس ان ينبذوهم .. ولكن المؤلم في هذا ان يقف اندريه مالرو وزير الثقافة الفرنسي ضد رفاقه هؤلاء وان يوقع البيان الحكومي الذي يتهمهم بانهم خياليون ورومانتيكيون ويكاد يتهمهم بالخيانة .. المؤسف ان ينسى مالرو انه مؤلف « الوضع البشري » ، وانه خالق جميع اولئك الابطال المضطهدين الذين يناضلون في رواياته من اجل حريتهم وكرامتهم .. ولو انه تذكر هؤلاء الابطال لاثر الاستقالة من الحكم على ان يستنكر موقف رفاقه الاحرار !

ولكن خيبتنا بمالرو وكذلك بفرانسوا مورياك الذي ما يزال ضائعا بين حبه لديغول وايمانه بمبادىء الحرية — ان هذه الخيبة تمّحي حين نقرأ اسماء موقعي البيان ، فنجد انهم المثلون الحقيقيون للفكر الفرنسي المبدع ولمختلف الوان الفن المبتكر المتجدد : سارتر وسيمون دو بوفوار وهنري لوفيفر وموريس نادو واندريه بريتون والين روب غرييه وناتالي ساروت وسيمون سينيوريه ودانيال غيرين .

فهل يكون بين مفكري العرب من لا يبعث بالتحية المخلصة ، تحية العرفان والتقدير والاعتزاز ، لهؤلاء المفكرين الذين يبقون على امل البشر بان العالم لن ينهار ما دام فيه مفكرون احرار ؟

تحية مخلصة اليهم ، وتحية الى شعب الجزائر العظيم ، صانع المعجزات والبطولات !

سهيل ادريس

طوبى للثورة العربية !

لعل التاريخ لم يعرف شعبا عانى في هذا القرن العشرين ما عاناه الشعب العربي من الوان الاستعمار والعبودية والاذلال .

ولكن التاريخ سيسجل كذلك ان هذا الشعب ظل يناضل ويضحي ويدفع ثمن حريته ويضرب أروع امثلة البطوله والفداء حتى استطاع ان يشق دربه الكبير نحو حريته ووحدته .

ومن أعماق الالم والعذاب والاحساس بالذل الذي خلفته نارتة فلسطين ، بدات تتفجر القوى الثورية في روح الانسان العربي ، وبدا السير في طريق الخلاص . فاذا هي سلسلة متلاحقة من الثورات ، تنفض اجزاء الوطن العربي واحدا بعد الآخر ، ولئن ظل احدها هادئا فالى حين ، ريثما يتمكن الشعب من تلقف المد الثوري الجارف . فمنذ عشر سنوات ، أطلقت الكنانة شرارة الثورة الاولى ، وكانت نارها آنذاك كامنة تحت رماد الارض الجزائرية ، فاندلعت تكوي الاستعمار المغتصب بألسنة من لهيب ، ثم اقبلت الشرارة تصهر سوريا ومصر في ثورة عظيمة خلقت نواة الوحدة المرتقبة ، امل العرب الى الابد منذ الازل ، ثم انتقلت الى العراق توقد ناره ، فيتفجر في ثورة الرابع عشر من تموز التي قضت على أشد عهود العراق ظلما وظلاما . . حتى اذا بلغت حدود اليمن في العام الماضي ، كانت مفاجأة ضخمة ، ولكنها مكتوبة في ضمير الشعب العربي الذي تصهر ذرات رماله امنية وحيدة واحدة ، وكانت مفاجاة الثورة لنفسها هناك في اليمن ابلغ رمز لتلك الامنية ، واروع عنوان لها .

وخلال هذه السنوات الخمس عشرة ، كان طبيعيا ان تتألب قوى الاستعمار والرجعية والتجزئة والانفصال ، والانتهازية والاقطاع ، لتطفيء هذه الجذوة الثورية وتوقف ذلك المد المتفجر ، فكان انحراف ثورة ١٤ تموز على يد الديكتاتورية الحمقاء والشعوبية العميلة ، وكانت نكسة ٢٨ ايلول على يد الخونة المتصلة مصالحهم بمصالح الاستعمار . . . وكان في هاتين النكستين خيبة ومرارة ، ولكنهما لم تخلفا اي يأس او تشاؤم في نفوس المؤمنين بالحرية والوحدة والاشتراكية .

ثم بزغ ٨ شباط و ٨ آذار من هذا العام ، بزغا فجرين في شهر واحد يحملان الى الشعب العربي ثمرة ناضجة من ثمرات نضاله العظيم ، بعد ان انقض على المعاقل المعفنة في العراق وسورية ، فصحح بيده الجبارة انحراف ثورتيهما ، وردهما الى الطريق الحقيقي اللاحب . وها هي البشائر تنطلق في الافق بأن شعبنا العربي سيكلل نضاله بالعودة الى وحدة صلبة ستتسع حتى تشمل كل اجزائه المتحررة ، وستبقى قائمة الى الابد ، لان هذا الشعب في كل جزء من اجزاء الوطن العربي سيعرف كيف يكون درعا تحميها وتدرأ جميع الاخطار عنها .

لقد آن اليوم للشعب العربي ان تلتمع عيونه بدمعة الفرح ، بعد ان كانت طوال سنوات وسنوات غائمة بدموع الاسى والخيبة والمرارة .

ولئن كان الثامن من شباط قد أعاد الشعب العربي في العراق الى طليعة القيادة ، فان الثامن من آذار قد استأنف الزحف الثوري العظيم للامة العربية ، هذا الزحف الجبار الذي لن توقف معركته الظافرة جيوب صغيرة ما تزال تقوم هنا وهناك بفعل الاستعمار والرجعية ومصالح الاقطاع . ان الشعب العربي سيصفي هذه الجيوب في اثناء الزحف الذي تشارك فيه اليوم جماهير أقوى الدول العربية ، متكاتفة ، متضامنة ، واقفة في وجه كل محاولة جديدة لتفرقتها او لاحداث ثغرات فيها ينفذ منها الاستعمار الجديد وعملاؤه .

لقد انهى الشعب العربي بوعيه المتكامل عهود العمالة والرجعية والاستغلال والانتهازية ، واضحى اليوم القوة الحقيقية الضاربة التي تضمن للجيوش العربية نصرها الظافر ، لان الجيش أصبح منها ولها ، وكف عن ان يكون آلة ارتزاق عمياء في ايدي اعداء الشعب .

ان جماهير الشعب العربي هي التي تفرض اليوم ارادتها الواعية ، مطيحة بكل عمالة للاجنبي ، وبكل دكتاتورية فردية حمقاء ، وبكل سياسة تجزيئية انفصالية ، لان ايمانها بحتمية الوحدة وحتمية الاشتراكية هو ايمان اجيال وقرون ، ايمان بالقدر العربي ، قام على وحدة النضال ، من اجل وحدة المصير .

ولقد كان أعظم كسب أحرزته وحدة النضال هذا انتصار معركة العروبة في بور سعيد ، فان تلك المعركة كانت حدا فاصلا لتحويل الدفع الثوري لدى الشعب العربي في مصر الى طاقة معنوية ومادية ضخمة وضعت تحت تصرف كل بلد عربي ينشد التحرر ، فكانت خير مساعد الشعب العربي في الجزائر اذ اسهمت اسهاما كبيرا في اكتساب النصر النهائي له ، وكانت خير مساعد الشعب العربي في اليمن اذ حمت وما تزال تحمي ثورته الكبيرة من عدوان الرجعية ، وكانت خير مساعد لثورة ٨ شباط حين وضعت هذه الطاقة النفسية والعسكرية ذاتها تحت تصرف ثورة العراق الرائعة منذ اللحظة الاولى لقيامها ، وكانت أخيرا خير مساعد للشعب العربي في سوريا حين ارتفعت فوق مستوى الاهواء والجروح لتدعم ثورة ٨ آذار التي ثأرت من الانفصال وردت سوريا الى خط التحرر العربي .

وانها لقوى تحررية ضخمة هذه التي تتآلف الآن وتتساند ، لانها ستيسر للشعب العربي ان يتحرر حيث لم يتحرر بعد ، ولانها ستضع نفسها كلها آية جديدة ودليلا أخيرا على وحدة المصير .

فما أروعه فجرا هذا الذي يبزغ اليوم على الوطن العربي ، وطوبى لكل ثورة عربية قشعت عن سمائنا غيوم التخلف ، وطوبى لكل ثورة جديدة تفسح الطريق امام المد العربي الزاحف نحو النور والحرية .

أزمة المثقف العربي

يعيش المثقف العربي في هذه الفترة الدقيقة من تاريخنا الحديث وضعا نفسيا مأزوما لا مبالغة في نعته ((بالتمزق)) . وقد بدأ هذا الوضع النفسي يتكون على أثر التطورات التي اعقبت توقيع ميثاق الوحدة الثلاثية.

ان المثقف العربي لايملك الا ان يتمزق روحا ويدمى قلبا حين يرى شبح التهديم والخراب يرفرف فوق ميثاق الوحدة ، بعد الخلاف العنيف الذي ذر قرنه بين القيادات الثورية الكبرى في الوطن العربي .

***

لقد كان هذا المثقف ينتظر ان يتم تحرير اجزاء الوطن التي لم تتحرر بعد ، ليصبح لقاء القيادات الثورية ممكنا ، وليتحقق امل الشعب العربي في الوحدة . وقد كان عاما ١٩٦٢ و ١٩٦٣ تاريخين حاسمين في التحرر العربي حين شهدا انتصار ثورتي الجزائر واليمن وقيام ثورتي العراق وسوريا . فاذا باقوى اربع دول عربية تنضم الى ركب ثورة ٢٣ تموز العظيمة ، لتشكل موكب الحرية ، ولتفتح الباب واسعا امام الوحدة ، أمنية العرب الكبرى .

ثم انفجر الخلاف الصامت بين القيادة العظيمة التي يتولاها ثائر كبير يدين له الشعب العربي كله بالولاء ، لانه الصورة المثلى لقدره الجديد ، وبين قيادة حزب مخلص لقضية الوحدة العربية ، بالرغم من جميع اخطاء هذه القيادة . وعرف هذا الخلاف مضاعفات ومشاركات مؤسفة على يد قوى مخلصة هي ايضا للوحدة والحرية والاشتراكية تفاقمت حتى بلغت حد تبادل تهمة الخيانة للقضية المقدسة .

ويتساءل المثقف العربي الحريص اعظم الحرص على صيانة الوحدة : **اي موقف يتخذه من جميع هذه الاطراف التي شاركت في الثورات العربية التحريرية ، وتحتاج اليها كلها الوحدة القادمة ؟ أصحيح انه لالقاء بينها بعد ؟ أصحيح ان الوضع بلغ نقطة اللاعودة ؟**

والتماسا للنور والجلاء ، يجد المثقف حاجة الى ان يدرس الامر عن كثب ، ويتحرى الوقائع ويستقصي اسباب الخلاف ، فيقوم بزيارة عواصم الوحدة الثلاثية ، ويقابل المسؤولين ، ويطرح الاسئلة معبرا عن بعض شكوكه ... فاذا خلا الى نفسه بعد ذلك ، وقام بعمليات المقارنة والمراقبة والنقد ، خرج بمزيد من التمزق ، واحس جراحاته تنزف دما ، ولم يجد امامه الا ان يلعق هذا الدم بلسانه ..

بيد انه يسعه ان يتأكد من حقيقة واحدة : **هي ان ثمة مفارقة واضحة بين الفكرة والتطبيق في كثير من المواقف والتصريحات .**

ويعود المثقف العربي الى التساؤل : وماذا بعد ؟ الام تظل القوى الوحدوية متناحرة متنافرة ؟ ومتى تعي وعيا حقيقيا عميقا الا غنى لبعضها عن الاخر ، وان عليها، من اجل التحالف تنفيذا للوحدة ، ان تقر بعض التضحيات وترتضي بعض التنازلات ؟

انك لتستمع الى كل فريق ، فتجد انه غير مفتقر الى الحجج الوجيهة ، وتلفي عنده جوابا على كل سؤال ، وردا لكل نقد ، وتوضيحا لكل غموض . وانت لاتستطيع الا ان تفتح اذنيك لكل حديث ، اذا شئت حقا ان تكون منصفا وموضوعيا ، واذا لم يغب عن ذهنك لحظة ان جميع هؤلاء الفرقاء قد أسهموا ـ ولو اسهاما متفاوتا ـ في العمل التحريري الذي دفع بالاقطار الثلاثة في دروب الحرية والوحدة والاشتراكية ، وان اخطاء كثيرة قد ارتكبت هنا وهناك في اثناء التجربة ، ولا بد للجميع من ان يتعاونوا لتجنب الوقوع فيها مرة اخرى .

وينتهي الامر بالمثقف العربي ، في هذه الازمة العنيفة التي تمزقه خوفا على ضياع الوحدة ، الى ان يتخذ موقفا شبيها بموقف اي مواطن عربي بسيط : **انه يريد ان تتحقق الوحدة التي ينتظرها ، والتي وعد بها في ميثاق القاهرة، يريدها ان تتحقق قبل كل شيء، ولا يريد ان يصغي بعد الى ما يقال هنا وهناك .** واذا آن اوان تنفيذها ولم تنفذ، فانه سيدين كل فريق نكث عهد الوحدة ، او خالف روح ميثاق القاهرة . بعد ان كان الفرقاء قد اجتمعوا طويلا ، وتفاهموا ، واتفقوا . فلا مجال بعد للنكوث ولا التراجع .

هذا هو اليوم مطلب الجماهير العربية . البسيط والعميق معا . مطلب المواطن العادي ، ومطلب النخبة المثقفة الواعية ، مطلب الانسان العربي ، بكلمة واحدة .

وان امام هذا الانسان العربي لدرسا وتجربة، يستطيع ان يفيد منهما كثيرا . هما درس الجزائر وتجربتها .

لقد اختلفت بعض قطعات الجيش الجزائري ، على أثر الاستقلال ، وتطور هذا الخلاف حتى اوشك ان يتحول الى تلاحم واقتتال ، فاذا بالجماهير العربية في الجزائر تخرج الى الشوارع والساحات وتعسكر فيها ، وتقف سدا مانعا دون التحام قطعات الجيش ، مذكرة اياها برفقة السلاح المقدسة ، ووحدة الهدف ، ومصير الانسان العربي في الجزائر .

وكان ان رضخ المتخاصمون واستجابوا للنداء النبيل، وانتصرت وحدة الجزائر .

ان الجماهير العربية ، في مصر وسوريا والعراق ، ستخرج الى الشوارع والساحات ، في شهر ايلول القادم، لتطالب المسؤولين بان ينفذوا الوعد ، ويحققوا العهد ، بالغا ما بلغت الخلافات ومهما كانت التضحيات . بل وايان كان الضحية !

وليس امام القيادات الثورية ، اذا كانت منبثقة حقا عن الشعب، الا ان تستجيب لنداء الوحدة. **اما الخلافات فستنحل في قلب الوحدة ، ولا خوف بعد من نكسة انفصال جديدة ، لان وعي الشعب العربي الذي زادته النكسات تصلبا وعمقا ، سيعرف ان يحافظ على مكاسبه الممهورة بالدماء والتضحيات .**

الأدبُ والوحْدَة

هل نحن مقبلون على عهد جديد من الانتاج الفكري والادبي ؟

هذا سؤال يحق لنا ، بل يجب علينا ، ان نطرحه ونحن على عتبة قيام الدولة الاتحادية الكبرى . فهذه الدولة تحمل في اقطارها الثلاثة — وفي الاقطار الاخرى المدعوة للانضمام اليها ، ومنها لبنان — أعظم الامكانات الادبية التي ترسم تاريخنا الادبي الحديث ، مثلما تضم أعظم الطاقات البشرية التي تتكون منها الامة العربية .

ولا شك في ان الادب العربي المعاصر يعيش ، في هذا النصف الثاني من القرن العشرين ، فترة انتقال . ومن الطبيعي ان يكون الحدث الادبي في ذلك مرآة للحدث السياسي . فكما ان الوطن العربي يعاني منذ كارثة فلسطين التمزق والضياع ويتحفز لاسترداد الكرامة ومحو عار الفاجعة بالوحدة ، كذلك شأن الادب العربي : يتحفز منذ خمسة عشر عاما لخلق نتاج يعبر عن تلك الفترة القلقة ويرهص بعهد جديد يساير المد الثوري حينا ، ويتجاوزه في احيان .

وقد يكون من اليسير على المؤرخ الادبي الذي يرصد الحركة الادبية ان يتبين في نتاج هذه الفترة صورة مهتزة الملامح ، ضعيفة السمات . غير ان بوسعه مع ذلك ان يجد في هذه الملامح والسمات بذور ولادة جيل جديد من الادباء يبذل الجهد العميق لخلق نتاج يختلف عن نتاج الجيل السابق بما يتمخض به المجتمع العربي من تطورات جذرية في الميدانين السياسي والاجتماعي .

لقد استطاع الانسان العربي ان يقف في وجه التحدي الذي فرضه عليه الاستعمار باقامة تلك الدولة الدخيلة في أرضه العربية ، وبدلا من ان يكون التحدي عاملا للتفرقة والتجزئة ، أصبح عاملا للالتحام والتوحيد ، في سبيل لفظ هذا العنصر الغريب السام من الجسم العربي ، وهكذا أتاح هذا الصراع العنيف الذي بذله الانسان العربي ان يشعره بقوته الذاتية وبكينونته الحقة ، وعندئذ بدأ وعيه العميق بحاجاته واحساسه بنواحي الضعف في بنيته ، فأخذ يعمل من اجل سد هذه الفجوات وتحقيق الاكتمال في مختلف مرافق الحياة . وعلى هذا النحو استطاع هذا الانسان ان يتغلب على التحدي وينتصر على القوى المعادية التي ارادت ان تضع قدرته على الحياة موضع الشك والاتهام ، ولم يكن قيام دولة الاتحاد ، التي هي نواة عظيمة للدولة العربية الكبرى ، الا تكريسا لهذا النصر وتوكيدا لثقة الانسان العربي بنفسه وقدره .

وصحيح ان الادب لم يستطع حتى الآن ان يعبر التعبير الحقيقي العميق عن هذا الصراع الذي خاضه العربي في هذه الفترة . فنحن مثلا لم ننتج بعد الاثر الفني الرفيع الذي يعبر عن النكبة بما يبلغ مستوى النكبة ، كما لم ننتج الاثر الادبي الذي يعكس انتصار انساننا في الجزائر بما يبلغ مستوى النضال العظيم الذي عاناه لبلوغ هذا الانتصار . ولكننا لا ننسى كذلك ان الاثر الادبي ، اذا شاء ان يصور الحدث السياسي او الاجتماعي التصوير الفني الخالد ، فهو بحاجة الى البعد الزمني الذي يخلي التعبير الادبي من عناصر السرعة والعاطفية والانفعال ، ليتمكن من الارتقاء به الى المستوى الانساني العام .

ومع ذلك ، فحسب هذا الادب انه عبر عن تلك الفترة الانتقالية بكل ما فيها من قلق وتردد ونكسات . وها هو الآن مدعو الى مرحلة جديدة من التعبير عن هموم الانسان العربي في وضعه الوحدوي الجديد الذي يبني فيه مجتمعه على أسس صلبة لم تكن متاحة له من قبل .

ولن يكون نتاجنا الجديد صادقا ، ولن يكتب له — بالتالي — البقاء ، اذا لم يكن معبرا عن الحقيقة العربية الجديدة : حقيقة الوحدة كمطلب رئيسي وكضمان حقيقي لمستقبل الانسان العربي .

ولا ريب في ان هناك مقومات كثيرة لهذه الوحدة في مختلف المستويات ، ولاسيما في المستوى الاجتماعي . غير ان المقومين الاساسيين هما التحرر والاشتراكية .

من اجل هذا ، نؤمن بأن نتاجنا الادبي الجديد سيتميز اول ما يتميز بالتعبير عن هموم التحرر والاشتراكية اللذين سيبنيان مجتمعنا العربي الحديث . وهو لذلك سيكون من غير شك أدبا ثوريا .

ومن الواضح أن الادب الثوري ليس هو أدب الدعاية والهتاف ، فقد تكون القصيدة ثورية اذا اكتفت بتصوير وضع اجتماعي فاسد يخلق « ثورة » — ولو صامتة — في نفس القاريء ، وقد تكون القصة ثورية اذا صورت تحللا سياسيا يوحي بالتمرد . ان الايجابية قد تكون نتيجة لتعبير سلبي صادق .

✶

وبعد ، فنحن نؤمن بأن فترة الانتقال التي عاشها الادب العربي بعد عهد النهضة، هي الآن على وشك الانتهاء، وان نهضة ادبية جديدة تشرق على تاريخنا الحديث . ولا بد للصحافة الادبية ولمختلف وسائل الاعلام والنشر ان تكون في خدمة هذه النهضة التي تخلقها الوحدة ، بذلك وحده تسير في طريق الشعب وطريق المستقبل .

سهيل ادريس

ملامح للثورة الثقافية

هل نستطيع ان ندّعي او نملك ان نحدث ثورة ثقافية في المجتمع العربي ؟ الواقع ان كل ثورة ، ثقافية كانت ام سياسية ام اجتماعية ام اقتصادية ، انمـــا هي حصيلة عوامل متراكمة على سطح كلّ امة وفي اعماقها ، تشارك فيها الاجيال المتتابعة ، فلا تكون بالتالي الا نتيجة طبيعية لعناصر مختلفة تسهم في خلق « الضرورة » الموضوعية لانبثاق هذه الثورة .

من هنا كان ايماننا عميقا بأن ثورة ثقافية عربية جديدة لا يمكن ان تكون منفصلة عن جميع الثورات العربية السابقة، سواء كتب لهذه الثورات، او لبعضها ، النجاح ام اجهضت، لان المعوّل عليه في هذه الثـورات انمـــا هي « البذرة » المكنونـة في أعماقها والتي ليس امامها مفرّ مـن التفتح والاثمار حين تتاح لها الظروف الطبيعية .

ومن هنا ايضا شكّنا بل اتهامنا لكلّ نزعـة تنادي بضرورة قيام الثورة انطلاقا من هدم كلّ ما فـي الماضي وتجاوزه بل ومناقضته .. ومن المؤسف ان هذه النزعـة بدات تذرّ قرنها بعد هزيمة حزيران ١٩٦٧ ، مدّعية ان طريقنا الى النهضة الجديدة يجب ان تكون في خط معاكس للماضي بحجة ان هذا الماضي هو سبب تلـك الهزيمة . وتلك الادانة للماضي كلّه ، من غير تحفظ ولا استثناء ، تتناقض اعمق التناقض مـع جدلية التاريــخ ومنطـق المجتمعات المتطوّرة ، لان الاخفاق مكتوب لكل ثورة تريد ان تبدأ دائما من جديد ، اي من نقطة الصفر ، هادمة مشاركة جميع الاجيال السابقة ، زارعـة التعسّف والاعتباط في مقاييس الانطلاق التي تبنى عليها المجتمعات .

ان نزعة « الرفض » التي تميّز هذا المذهب الجديد قائمة على « ردّ فعل » ، وليس على « فعل » . انها ردّ فعل للهزيمة لا يسع المرء ازاءه الا ان يتساءل عن « الفعل » الحقيقي للتحرّر من هذه الهزيمة. فاذا لم يصمت اصحاب هذا المذهب عن الجواب ، فهم يذهبون يلتمسون « الفعل » من خارج المجتمع الذي يعيشون فيه ، ويريدون ان يفرضوا فعلا مستمدًا من تجارب اجنبية ، مـن غير ان يدرسـوا معطيات المجتمع العربي وظروفه وبناه المختلفة ، ويتدبّروا بالتالي امكان تطبيق هذه التجــارب الخارجية ومدى صلاحيتها لمجتمعهـم .

وقد لا يكون عجيبا ان يقف اصحاب هذا المـذهب موقف التعالي الذي يبلغ احيانا حدّ التحقير والازدراء للشعب الذي يتوجهون اليه ، اذ يتهمونه بالجهل والقصور ، ولا يتورّعون عن شتمه بنزعة من التشفي والحقد تتجاوز كل حدّ في طلب الايجاب . ولعلّ هذا يجاري مطلبهم في الثورة الكاسحة التي لا تبقي ولا تذر .. ولكن يفوتهم دون شك ان يتساءلوا عمن عساه يقوم بهذه الثورة المطلوبـة ، ويغرب عن بالهم ان شعبا يحتقرون ماضيه ويشتمون تراثه ويرتابون بقدراته سيكون اعجز من ان يقوم بثورة ليس لها جذر في ارضه ولا اصل في اعماقه ، لان هـذه الثورة ستكون مفروضة عليه من خارج، او من فوق ، لا يستجيب لدوافعهــا ولا يحسّ نبضها في عروقه . وهكذا تصبـح « الثورة » غير ذات موضوع ، تصبـح كلمة ميتة لانهـا ترفض ان تستمد نسغها من العرق الحقيقي الذي يغذيها .

غير أننا اذ نشير الى هذا الماضي وتراثه ، فليس لكي ننزله منزلة التقديس : ان في هذا التراث الذي نعتزّ به جوانب كثيرة قد بليت واصبح من الضروري تجاوزها. فكمـا اننـا لا نرفض ان نفيد من تراث الامم ومن مذاهبها المتطورة ، ولا سيما المذهب الاشتراكي ، فاننا لا نرفض ان ننتقد ما لم يعد في تراثنا وماضينا يتلاءم وروح التجديـد والتحرّر والانطلاق لبناء مجتمعنا الجديد . ولكن يبقى اننا نرفض ان نجتث جذورنا ، وان ننطلق مـن العماء والخواء بحجـة الثورة والتجديــد .

من هنا ايماننا بمرتكزات أساسية للثـورة الثقافية التي نصبو اليها : ايماننا على الصعيد السياسي والقومي بالوحدة العربية وبأنها المصهـر الحقيقي لكـلّ الثورات التقدمية ، وايماننا على الصعيد الديني والفلسفي بضرورة تجديد المفاهيم وتطويرها والانطلاق مـن رحابة العقيـدة الدينية وسعة باب الاجتهاد ، لا سيمـا اذا تذكرنا ان الدين في تاريخنــا الخاص كان في معظم احواله ، قوة تحرير وتوحيد ولم يكن « افيونا » للتخدير ، وهذا ما يقرّه كثير من المؤرخين ومن المفكرين الماركسيين المعاصرين امثــال جارودي ورودنسون ... ولكن هذا لا يحجب عنا ضرورة مراجعـة كثير من الاحكام والقواعد على ضوء العلم والمنطق وروح التطوّر .

اما على صعيد الابداع الادبي ، فنحـــن من الذين يؤمنون بان الانتاج الحديث ، منذ عصر النهضة ، قد حقق منجزات هامة في تاريخنا الفكري ، يجدر بنا ان نستعرضها استعراضا تسجيليا ونقـديا ،سـواء في ميدان الشعر او الروايـة او القصة او المسرح او النقد . وهنـــا ايضا لا مناص لنـا من التبصّر في تحليل كثير من النزعات الفنية التي يزعم اصحابها انهم يريدون بها التجديد ، بينما هي مجلوبة من غير ارضنا ، غير منسجمة مع مقتضيات ثورتنا المنشــودة .

ان الميزان الذي يجب أن نزن به مختلف مظاهــر نشاطنا الثقافي الذي يتجه الى ثورة شاملة ، هــو ميزان النقد والموضوعية ، وليس ميزان الرفض والسلب والنزق العصبيّ ... واذا جاز لنـا في أعقاب حزيران ان نستسلم للغضب ونلعق جروحنا الدامية ، فقد آن لنـا ان ننصرف الى معالجـة الكارثة بروح من المسؤولية والرصانة يعطي اروع صورة عنهـا مناضلون منـا في الجبهات وفــي الارض المحتلة يموتون للدفاع عن شرفنا وعن قيمنا وعـن حضارتنـا التي لا نستطيع ان نبني حضارة جديـدة الا انطلاقا من جذورها .

وبعد ، فبهذه الروح من المسؤولية والموضوعية ، حاولنا ان نخطط لهذا العدد الخاص من « الآداب » . وحين جعلنا شعاره « نحو ثورة ثقافية عربية » كنا ندرك المصاعب التي تعترض مثل هذا المشروع الذي يتجاوز اضخم الامكانيات ، ولذلك حرصنا على تضمين الشعار ما يشير الى النزعة التي تحتاج الى تأصيل وتجربة عميقة وطويلة قبل ان تتحقق واقعا جليا .

ومع ذلك ، فقد أصيب التخطيط نفسه الذي كلّفنا عددا من المفكرين العرب بمحاولة معالجة موضوعاته ، اصيب بفجوات عديدة من جراء تخلّف الكثيرين عن القيام بالتزاماتهم لاسباب وجيهة احيانا ، وغير وجيهة أغلب الاحيان .. ولعلّ هذه احدى الآفات التي ينبغي معالجتها لدى المثقفين العرب : ان حسّ المسؤولية يحتاج عندهم الى تعميق ..

غير أننا نرجو ، رغم ذلك كله ، ان نقدّم للقارىء العربي في هذا العدد ما يشير الى الخطوط الكبرى لثورة ثقافية عربية تفتح امامنا الطريق لبناء ركائز متينة لمجتمع متطوّر .

سهيل ادريس

رسالة إلى سارتر

بقلم الدكتور سهيل ادريس

كانت احدى الصحف الاسرائيلية قد ذكرت منذ اسابيع ان دعوة قد وجهت الى الكاتب الفرنسي جان بول سارتر لحضور « مؤتمر الفلاسفة » الذي سيعقد في ٤ نيسان (ابريل) الحالي في اسرائيل . وقد صرح احد الفلاسفة الاسرائيليين ان « من المنتظر ان يلبي سارتر الدعوة » .

وقد بادر رئيس تحرير « الآداب » بعد قراءة هذا النبأ ، الى ارسال رسالة الى سارتر نورد فيما يلي ترجمتها العربية .

***

سيدي العزيز

يسعدني ان ارفق لك بهذه الرسالة نسخة من عدد « الاداب » الصادر منذ حين . وقد خصصت الصفحات الاولى من هذا العدد الذي يحمل غلافه صورتكم مع عبارة « تحية الى سارتر » ، للحديث عنكم بمناسبة رفضكم لجائزة نوبل .

والحق ان هذه ليست هي المرة الاولى التي تتحدث فيها مجلتنا عنكم باحترام واعجاب . فالقراء العرب الذين يقبلون عليها يعرفونكم منذ وقت طويل ، سواء عبر هذه المجلة الملتزمة على غرار مجلتكم « ليتان مودرن » ، او عبر مؤلفاتكم المترجمة الى العربية والتي كان لي حظ ترجمة غير قليل منها . وقد اصدرت دارنا بالعربية كتابيكم الاخيرين « الكلمات » - « سيرتي الذاتية » - و « الاستعمار الجديد » اللذين ترجمتهما ، وكان الثاني بالاشتراك مع زوجتي سكرتيرة تحرير « الاداب » .

واسمح لنفسي بالقول ان « دار الاداب » التي انا صاحبها كذلك ، قد اخذت على عاتقها تعريف القراء العرب بمؤلفاتكم الحرة اعمق الحرية وهي تنوي ان تنشر قريبا بالعربية ، بالاتفاق مع دار « غاليمار » ، عددا اخر من مؤلفاتكم ومؤلفات سيمون دوبوفوار (وقد ترجمت زوجتي لها « قوة الاشياء » الذي صدر اخيرا) .

وغني عن القول ان اصل العلاقة التي تشد القارىء العربي الى آثاركم ، انما هو احترام عميق لفكركم الحر ، وشخصيتكم ، وموقفكم من قضية العرب في الجزائر ، ومساندتكم لجميع القضايا الكبيرة العادلة ، ومنها قضايا كوبا والكونغو . ان جميع البلدان التي خضعت ولا تزال تخضع لنير الاستعمار والاستعمار الجديد تجد في كتاباتكم الادبية والفلسفية اصداء لامانيها القومية المشروعة .

وقد كان بودي ان انقل لكم الى الفرنسية اهم ما في المقالات الصادرة في هذا العدد الخاص من « الاداب » ، ولكن ليست هذه غايتي . انني اسمح لنفسي بان انقل لكم هنا مقطعا صغيرا من المقال الافتتاحي الذي كتبته بعنوان : « نحن وسارتر » :

« لقد كان الادب الوجودي الذي يمثله سارتر افضل تمثيل يعبر تعبيرا عميقا عما عاناه الجيل الفرنسي منذ كارثة الهزيمة الفرنسية في اثناء الحرب وبعدها . ولعل شيوع هذا الادب في وطننا العربي معزو الى ان الاجيال العربية الجديدة تجد فيه ما يشبه التعبير عما تعانيه منذ كارثة فلسطين . لقد كان من المفروض ان ينشأ لدينا بعد هذه الكارثة ادب يعكس اوضاعنا وهمومنا ويعبر عن اشواقنا لمحو هذه اللطخة من تاريخنا ، ولكن اجيالنا الجديدة حين افتقدت هذا الادب الذي كان بوسعنا ان نلتمس لعدم نشوئه بعض التبريرات راحت تبحث في الآداب الاجنبية عما يعبر عن قلقها وتمزقها وضياعها ، وآمالها كذلك ، فوجدت هذا كله في الادب الوجودي عامة، وفي آثار سارتر خاصة » .

من اجل هذا ، يا سيدي العزيز ، كان من الصعب علينا ، ان لم نقل من المحال ، أن نصدق النبأ الذي نشر في صحيفة اسرائيلية والذي يقول ان المنتظر أن تحضر مؤتمر الفلاسفة الذي يعقد في اسرائيل يوم ٤ نيسان القادم .

ان من الممكن ان يكون هذا النبأ غير ذي اساس ، وانه انما نشر لغايات دعائية . اما نحن العرب ، وفينا اصدقاء لك وتلامذة ومعجبون ، فنتمنى بكل صدق ان يكون الامر كذلك ، لاننا حريصون على ألا يمس التقدير الذي يكنه العرب لسارتر اي مساس .

لقد تربيت يا سيدي في مدرسة الثقافة الفرنسية الكبيرة ، وبوسعي ان اتبين مختلف الاسباب التي يمكن ان تبرر عزم كاتب كبير حر مثلكم على المشاركة في هذا المؤتمر . ولكني واثق من ان تبصركم والاحساس العميق الذي تملكونه لنفسية الشعوب يتيحان لكم كذلك ان تتبينوا الى اي حد اصبح الشعب العربي حساسا بكل ما له صلة من قريب او بعيد بقضية فلسطين . ولست بحاجة ، يا سيدي العزيز ، الى تذكيركم بتاريخ هذه المأساة الكبيرة التي هي اعظم مأساة عرفها العرب في

تاريخهم . ان شعبنا من الحساسية في هذا الصدد بحيث لا يستطيع الان ان يميز بين السياسة والفكر المحض .

ونحن سنكون اخر من يجادل في حق مفكر كبير ، ايا كان ، بأن يشارك في اي مؤتمر فكري يقام في اي بلد من بلاد العالم ، لاننا نعلم جيدا ان ليس للفكر من حدود . بل نحن نعتقد ان وجود رجل مثلكم ، اذا حضر مثل هذه المؤتمرات ، فانه سيحمل اليها اسهاما عميقا كبير القيمة.

ولكن الواقع ان الشعب العربي قد كان ، فيما يعني فلسطين ، ضحية ظلم لا شبيه له في التاريخ الانساني . وهو ينتظر ابدا بنفاد صبر حلا لهذه القضية التي تثقل اكثر فاكثر على الضمير العالمي .

فاسمح لي يا صديقي العزيز ، ان الاحظ ان حضور هذا المؤتمر في اسرائيل ، في المكان الذي سينعقد فيه ، لا يمكن ان ينفصل عن قرينة سياسية . لقد علمتنا انت نفسك ، في جميع ما كتبت ، ان سلوك كاتب ما يلزمه ، ويجعله « في موقف » ، أكان واعيا لذلك ام لم يكن .

وليس من الممكن الا تدرك ما تمثله اسرائيل في نظر العرب . اننا نعتبرها قوة اغتصاب ، وجسرا للاستعمار الغربي ، ولا سيما الاميركي . والشعب العربي ما زال وسيظل في صراع مسلح مع اسرائيل حتى يعود مليون لاجيء فلسطيني الى وطنهم . فنحن اذن على حق في ان نجند كل شيء من اجل تحقيق هذا الامل .

وانا ، شخصيا ، اعتقد ان هذه « الزيارة » لاسرائيل يمكن ان تخلف اصداء مؤسفة في نفوس مئة مليون عربي يحبونك ويقدرونك ويكنون لك شعورا عميقا بالعرفان . وانتم تعرفون بلا شك ان هذا الشرق العربي يواصل كفاحه من اجل استقلاله التام ، ووحدته وسيادته الكاملة في ارضه . ويأمل المثقفون العرب ابدا ان يدعم اكبر مفكر في القرن العشرين كفاحهم هذا من اجل مستقبل افضل .

لقد قرأنا بامعان — وما الذي لم نقرأه من مؤلفاتكم ؟ — كتابكم « تأملات في القضية اليهودية » . لقد دافعت فيه عن اليهودي ضد الظلم الذي كان ضحيته بصفته كائنا بشريا . دافعتم عنه كانسان مضطهد . ولكنكم لم تدعوا الى خلق دولة غاصبة ما كانت لترى النور لولا مساندة الاستعماريين الانغلو ساكسون . فمن حقنا اذن ان نميز بين اليهودي الذي لا تكن له اي اي عداء ، بصفته هذه ، وبين الاسرائيلي الصهيوني ، المغتصب المضطهد .

انه لا يمكن ان يغرب عن بالنا ان مجرد « زيارة » لاسرائيل لا يمكن حتما ان تلزم كاتبا حرا ومستقلا مثلكم بالتأييد والمساندة . ولكنني اتساءل مع ذلك : هل خطر لكم يا سيدي ان « تزوروا » اي معسكر من معسكرات اللاجئين الفلسطينيين ؟

ان من واجبنا اذن ان ندعوكم لزيارة لبنان . وساكون سعيدا جدا ان يكون بامكانكم قبول دعوة « الاداب » و « دار الاداب » لقضاء بضعة ايام في بيروت . وانا اعدكم الا ازعجكم في اقامتكم ، ولكنني لا احسب ان بوسعكم ان ترفضوا زيارة احد معسكرات اللاجئين الفلسطينيين ، لبضع ساعات .

اجل ، ايها الصديق العزيز ، ان هذه الزيارة ستتلبس معنى عميقا وآمل ان يكون لديك الوقت الضروري والرغبة الصادقة في تلبيتها .

وسوف انتظر جوابكم بنفاد صبر ، وارجوكم ان تثقوا بالصداقة المخلصة التي تشعر بها نحوكم الطليعة العربية التي لم تكف يوما عن تعلقها العميق « بدروب الحرية » .

واعتذر اليكم عن استغلالي لوقتكم في قراءة هذه الرسالة . ولكني فيما ان اسمح لنفسي بان اضيف ان هذه الرسالة انما املتها علي الرغبة في ان اخدم قضية الحرية التي جعلتمونا نهتم ونتعلق بها ونكون مكسوبين لها ، ارجوكم ان تتقبلوا تأكيد تقديرنا الكبير .

سهيل ادريس

(للافادة عنا يمكنكم ان تراجعوا البروفسور جاك بيرك ، الاستاذ في الكوليج دو فرانس بباريس)

الدكتور سهيل ادريس

ايار (مايو) ١٩٦٥

لقاء الثورات

بالرغم مما تلاقيه الثورة من مصاعب وعقبات ، فهي ما تزال تحقق في عدد من اقطار العروبة مكاسب وانجازات لا بد من مضاعفتها خشية فقدانها .

ذلك ان الرجعية والاقطاعية والراسمالية تحشد حشودها وتبذل كل طاقاتها للوقوف في وجه المد الثوري الذي اجتاح الوطن العربي منذ ان فجرته الثورة الام ، ثورة ٢٣ يوليه . وصحيح انها لن تستطيع ان توقف هذا المد الذي يمضي في اتجاه التاريخ ، ولكنها قد تستطيع ان تعيقه وتؤخر تدفقه ، فتؤخر بذلك تحقق المجتمع العربي الثوري الذي ننشده . ولا ريب في ان من اكبر الاخطاء التي ارتكبتها الثورة العربية في مسيرتها الظافرة مهادنة الرجعية والتوهم بانها قد ترتد تلقائيا عن مواقعها وتترك للتيار الثوري ان يسير طريقه المرسوم .

ولا تزال بعض الثورات العربية مترددة في هذا السبيل ، وهي تلتمس بعض المعاذير للتلكؤ والمراوحة ، فترتكب بذلك اخطاء اخرى توشك ان تتحول الى كوارث اذا استشرت وتطاولت . ويرتكب هذه الاخطاء الان دخلاء على الثورة استطاعوا ان يتسربوا من بعض الثغرات في غفلة عن القيمين الحقيقيين على الثورة . وهم يتبنون من جديد ، ولكن باسلوب مختلف ، روح المهادنة مع الرجعية والاقطاعية والرأسمالية ، بحجة ان هذه هي الطريقة المثلى للسير المتبصر الرشيد .

ولا شك في ان الروح التي املت تأييد مؤتمرات القمة العربية كانت روحا طيبة نبيلة ، ولكنها كانت تتغاضى

عن حقيقة الصراع المفروض بين الثورية والرجعية . وحين تتراجع الجمهورية العربية المتحدة الآن عن حضور هذا المؤتمر فانما تعود الى ادراك حقيقة هذا الصراع ، وتسترد الروح الثورية الحقيقية التي تملي مقاطعة الرجعية ، بل العمل للقضاء عليها أو أضعافها ــ على الاقل ــ لكف أذاها وتعطيل نزعاتها التخريبية .

وكما ان الثورية تؤمن الان من جديد بان سياسة المهادنة تجلب اكبر الضرر على القضية ، لانها « ترد الاعتبار » للقوى التي ينبغي محاربتها وتمنحها مجال العمل الواسع للدس والتآمر والوقيعة ، فعليها ان تؤمن بان لقاء الثورات هو البديل الوحيد القادر على الصمود والمقاومة .

وصحيح ان الخلافات بين الأنظمة الثورية العربية تبلغ احيانا حدود التناقض ، ولكن الروح التي تحرك هذه الانظمة جميعا تبقى متشابهة في انها تهدف الى التغيير الجذري الذي يريد خلق مجتمع عربي جديد يقوم على الحرية والاشتراكية والوحدة . وهذا القاسم المشترك جدير به ان يرسي قاعدة تفاهم كبرى بين هذه الانظمة ، تذيب الخلافات وتصهر الفروق وتوجه خطاها في درب واحدة .

ان الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العربية السورية والجمهورية العراقية والجمهورية الجزائرية والجمهورية اليمنية مدعوة اليوم اكثر من اي يوم مضى الى اللقاء على الروح الثورية التي تحركها وترسم اتجاهاتها . وليس طريقها الى النصر ان تعمل فحسب على تحقيق اهدافها الثورية وغاياتها التقدمية ، بل ان نصف الطريق الى النصر ان تسعى للقضاء على الانظمة الرجعية والاقطاعية والاستبدادية التي تعطل المسيرة العربية كلها . ان المجتمع العربي الجديد كل لا يتجزأ ، فأي تخلف يصيب اي جزء من اجزائه يخلف اثرا عميقا على سائر الاجزاء قد يشل كل شوق له الى التقدم والتطور . وما فتئت الاحداث والتجارب تزيدنا اقتناعا بان بلوغ الغاية من الثورة لن يتم الا بالقضاء على معوقات الثورة ، لا في الجزء الواحد الذي شهد مولد هذه الثورة ، بل في الاجزاء الاخرى التي تقاوم المد الثوري وتعمل على احباطه .

ولقد اثبتت الوقائع ، من جهة اخرى ، ان سياسة « التعايش » بين الانظمة المختلفة في الوطن العربي تؤدي في اخر المطاف ، الى عكس ما وضعت له . فان الانظمة الرجعية تنتهز هذه الفرصة لتدعم مواقعها وتعزز استحكاماتها بتأييد من القوى الاجنبية الاستعمارية التي يهمها ان يبقى هذا الخلاف قائما ، فينتج عن ذلك ان الانظمة التقدمية تخسر بمقدار ما تربح الرجعية . ولن تكون حجة كافية تلك التي تتخذ ضرورة العمل الموحد من اجل فلسطين مبررا للتعايش والمهادنة ، لان العمل من اجل فلسطين يتطلب قبل كل شيء روح الثورة التي تفتقدها الانظمة الرجعية .

ومعنى هذا كله ان روح « القمة » قد اخفق في بلوغ ما يصبو اليه ، لانه تناسى او تجاهل روح « القاعدة » الشعبية ، هذه القاعدة التي اصبحت الان ، منذ كارثة فلسطين ، قاعدة ثورية واعية تفرض الاتجاه على الحكام ، لا تنتظر ان يملي الحكام عليها اتجاههم .

ان لقاء الثورات هو الذي يستجيب لروح القاعدة الشعبية ، لانه فيما هو يحقق اهدافه الخاصة ، يعمل على عزل قوى الرجعية والاقطاع ، ومن ثم على تفتيتها بحيث يسهل الانقلاب عليها واخضاعها . فلتتناس الثورات العربية خلافاتها الجانبية ، ولتلتق في الوطن العربي كله على روح الثورة الصاعدة ، محررة الشعب العربي من جميع انواع تخلفه !

الدكتور سهيل إدريس

آب (اغسطس) ١٩٦٦

أصوات مشبوهة !

كان مبدأ النقد الذاتي الذي برز بوضوح بعد هزيمة حزيران ظاهرة صحية في مواجهة الواقع العربي الجديد تعين على تبيّن معالم الطريق الذي لا بد ان يسلكه الشعب العربي في هذه المرحلة من تاريخ نضاله ضد قوى الاستعمار والصهيونية . فقد دللت تلك الهزيمة على ان العرب لم يكونوا يقدرون حق التقدير قوتهم وطاقاتهم وانهم كانوا مخدوعين عن انفسهم ، وانهم اصبحوا مدعوين الى اعادة النظر في وسائلهم المختلفة ليتجنبوا المزالق التي وقعوا فيها وليعرفوا مواقع اقدامهم في الدرب الشاق الذي عزموا على السير فيه بروح من التضحية والمقاومة لا يؤتاها الا الامة المصممة على البقاء مهما واجهت من عقبات .

ولكن هذا النقد الذاتي خرج في كثير من الاحيان عن الحدود التي تجعله ظاهرة صحية ، فأصبح ظاهرة مرضية ليست بعيدة عن السادية والتلذذ بتجريح الذات والاستمتاع بتمصص الدم السائل من جروح الهزيمة في الجسد العربي . وقد ذهب البعض مذاهب شتى في تعليل الهزيمة ليس اقلها اتهام العروبة بالافلاس وبمعاناة ازمة حضارية وبالتشكيك في قدرتها على القيام برسالتها في هذا العصر .

وكان ابلغ رد على هذه التهم انتفاض الانسان العربي وانتقاضه على هزيمته واسترداد طاقته على الصمود على ايدي الفدائيين وعناصر القوات المسلحة التي خرجت من مصهر الهزيمة وقد تطهرت وتفولذت بروح التحدي والمواجهة .

ومع ذلك ، وفي الوقت الذي تتأهب فيه الامة العربية لخوض معركة المصير الحاسمة التي تحققت ان لا مناص من خوضها بعد ان استنفدت جميع الوسائل السلمية ، فان أصواتا ما تزال ترتفع بين الفينة والفينة من هنا وهناك تدعو العرب الى اقرار الامر الواقع والقبول بالتسليم ومعالجة قضاياهم على ضوء ما قد حصل ، بحجة الدعوة الاخلاقية مرة ، وحجة تفادي المزيد من الآلام والتضحيات مرة اخرى .

وآخر هذه الاصوات تلك التي ارتفعت في مجلة جديده صدرت عن « دار النهار للنشر » في بيروت باسم « القضايا المعاصرة » . فقد نشرت المجلة في عددها الاول مقالا رئيسيا كتبه الدكتور جورج حوراني بعنوان « العرب واليهود في فلسطين : نظرة أخلاقية » وقدّمت له المجلة بتعريف عن الكاتب قالت فيه انه « يرئس الجمعية الاميركية للشرق الاوسط ، وكان لسنوات عديدة استاذا للتاريخ والفلسفة في جامعة نيويورك ، وفي هذه الدراسة يتناول قضية فلسطين من وجهة جديدة لم يتناولها احد من قبل ، هي الوجهة الاخلاقية التي تتخطى الشرعية والقانونية والامر الواقع » .

وقد طرح الكاتب في مستهل مقاله سؤالين عن عرب فلسطين ويهود اسرائيل هما : « ما هو الاساس الاخلاقي ، اذا كان هذا موجودا ، لدعواهم بان يعيشوا في فلسطين كمقيمين ، وما هي دعواهم في أن تكون لهم دولة مستقلة في فلسطين: هذان هما السؤالان الاخلاقيان الجوهريان» .

وبعد ان يتحدث الكاتب عن مفهومه للحقيقة الموضوعية في الأخلاق ويسرد حجج الفريقين ، يتساءل : « ماذا يمكننا ان نقول عن اليهود الذين يعيشون في اسرائيل اليوم ؟ هل نقول بان لا حق لهم بان يكونوا هناك لان هجرتهم اليها ، في الاصل ، كانت خاطئة ، واذن عليهم ان يعودوا الى البلدان التي جاءوا منها ؟ » ويجيب الكاتب بكل صراحة : « كلا ، فهنالك اليوم عوامل وافيه تجعلهم يبقون حيث هم ، ولا أعني تلك التي تستند الى القوة ، بل الى مبررات اخرى » وحين يستعرض هذه المبررات يعترف انها « تنطوي على كثير من الالتباس » كالاعتراف بحق الدخلاء في استيطان بلد ما ، لمجرد أنهم زرعوا جذورهم واقاموا فيه فترة من الزمن ، ومع ذلك فهو يقول « ان مشقة كبيرة تنجم ان هم اجبروا على الهجرة الى اقطار اخرى ، جديدة او قديمة ، وان الكثيرين لا بد من ان يقاسوا آلاما لا يستحقونها » .

وبعد ان يورد الحجج الاخرى في صالح قيام دولة اسرائيل ، ينتهي الى ثلاثة استنتاجات ، اولها ان حقوق العرب في الاقامة وانشاء دولة في فلسطين لا تزال ثابتة المفعول ، وان ظلما قد الحقته بالعرب الحركة الصهيونية الاصلية ومتعهدوها من ذوي السلطان .

اما الاستنتاج الثالث فهو الذي يعنينا حقا ، وهو قوله : « ان من الافضل للعرب ، والحال كما هي عليه الآن، في ضوء التطورات الاخيرة وامكانات المستقبل ، القبول بالحضور اليهودي ودولة اسرائيل في جزء من فلسطين . ان قبولا كهذا لن يكون بمثابة انكار للظلم الاصلي ، ولكن ينبغي ان يكون اكثر من مجرد طاطاه الراس للامر الواقع ، او انسحاب تكتيكي مؤقت لحين سنوح الفرصة ، بل يمكن له وينبغي ان يكون قرارا اخلاقيا » .

وواضح من عرض وجهة نظر الكاتب ان رؤيته « الاخلاقية » مقطوعة الجذور تماما بالشرعية والقانونية والامر الواقع ، ولا تريد ان تأخذ بعين الاعتبار كل ما هو لا اخلاقي في فرض هذا الامر الواقع . وهو حين يورد حجة « المشقة الكبيرة » التي تنجم عن اجبار اليهود على الهجرة الى اقطار اخرى ، ينسى حجة « الظلم الفظيع » الذي نجم عن طرد العرب واجبارهم على ان يصبحوا لاجئين في اقطار اخرى .

والكاتب في استنتاجه الاخير يطلب من العرب، حين يقبلون الحضور اليهودي ، الا يكون ذلك مجرد طأطأة الراس للامر الواقع ، بل ان يكون قرارهم اخلاقيا ... ونحن لا نفهم كيف يمكن ان يكون قبول الظلم والخضوع شيئا اخلاقيا ، كما لا نفهم هذه الاخلاقية التي يطالب بها المظلومون ويعفى منها الظالمون !

وفي هذا العدد ذاته من مجلة « القضايا المعاصرة » حديث للدكتور شارل مالك يتناول فيه شؤونا كثيرة ، فيقول مما يقوله « حبذا لو ان الشرق الاوسط كله ، اي تركيا وسوريا ولبنان واسرائيل والاردن ومصر ، بل حتى العربية السعودية والعراق ، تستطيع ان تصبح منطقة حيادية بكل معنى الكلمة » وواضح من هذا ان صاحب الحديث يدرج اسرائيل بصفة نهائية في بلدان الشرق الاوسط ، ولا يساوره ادنى شك في انها لا يمكن ان تكون دولة محايدة ما دامت قاعدة استعمارية للولايات المتحدة الاميركية .

ويسأل المحرر الذي اجرى الحديث مع الدكتور شارل مالك قائلا : « يشتم من كلامك ان لديك املا ، ولو ضئيلا ، بتعايش سلمي مع اسرائيل يوما ما ، فكيف نتعايش مع الصهيونية وهي دولة عنصرية توسعية الخ .. فيجيب بان العرب لا يستطيعون تقرير مصيرهم باستقلال عن اليهود ، ولا اليهود باستقلال عن العرب ، مؤكدا بذلك

وبعد، فلا يسعنا الا ان نصف هذه الاصوات وامثالها الا بأنها اصوات مشبوهة اذ هي تدعو الى الاعتراف بدولة اسرائيل والتعايش السلمي معها في وقت تحشد فيه الامة العربية ، شعوبا وقوات مسلحة وفدائيين ، كل طاقاتها لرفع الظلم الذي وقع عليها بانشاء هذه الدولة التي تثبت كل يوم مطامعها التوسعية وسياستها العنصرية وتحقيق احلامها في انشاء دولتها الكبرى من النيل الى الفرات واعادة بناء هيكل سليمان على انقاض المسجد الاقصى .

ان النقد الذاتي امر مطلوب لتصحيح الخطأ وتقويم الانحراف . اما ان يستغل لتبرير الامر الواقع والاعتراف به ، فهو الانهزامية والاستسلام والحكم على الامة العربية بالذل والخضوع ، ولو كانت حجة اصحاب هذه النزعة الدعوى الاخلاقية . ان الذين يقبلون المذلة لا اخلاق لهم .

بقي ان نذكر ان هذه الاصوات تحملها اليوم مجلة



يقدمها رئيس تحريرها على انها « لا وطن لهـا ولا اقليم » وانه يريدها « منبرا للفكر المنعتق ، وميدانا للحوار المنطلق من عقال الالتزام (...) وقد آلينا على انفسنا ان نجعلها ملتقى لمختلف التيارات ... »

ونحن نترك للقراء ان يستنتجوا من هذا الكلام مـا يشاءون ، ولكننا نستطيع ان ننبه الـى أن مثـل هذه الرسالة كانت ايضا رسالة مجلة « حوار » ، ومـن طريف الصدف ان ترد هذه التسمية بالذات فـي العباره التـي ذكرناها آنفا !

ويضيف رئيس تحرير « القضايا المعاصرة » انه لا بد لنا من ان « نعالج الصراع المستعر بين الماضي والحاضر والمستقبل معالجة شاملة بجـراة الانسان ، لا بشجاعـة البطل ، الانسان في استمراره عبر الدهور ، لا البطل في ضيق افقه واصراره المركز على الهدف الصغير » .

وهذا الكلام يلقـي ضوءا علـى اختيار الصوتين المذكورين لتقديمهما الى القراء ، فهو يفصل فصلا جذريا بين الانسان والبطل ، كأن الانسان لا يمكن ان يكون بطـلا او كأن البطل لا يمكن ان يكون انسانا . بل لعل في هـذا الكلام ايحاء بان الانسان هو نقيض البطل . ونحن نعترف بان الانسان يمكن ان يكون نقيض البطل في حالة واحدة : هي حالة الاستسلام والخنوع حين يطلب منـه ان يثـور ويرفض الامر الواقع فلا يفعل .

اما الانسان العربي، فلا يستطيع في حربه ضد قوى الشر والظلم والاستعمار والصهيونية الا أن يكون بطلا دون ان يكف عن ان يبقى انسانا .

الدكتور سهيل إدريس

Septembre 1969

